سلسلة فقه الحرب (13)

أسلحة ذكية وافتراضات غبية

أوهام الاستراتيجية الغربية تصطدم بالواقع الصناعي في أوكرانيا

ديڤيد بِتز وإم. إل. آر. سمِث



مؤسسه النّازعات
Anaziat

ترجمة: مويلك الشامي

بسم الله الرحمن الرحيم

أسلحة ذكية وافتراضات غبية

أوهام الاستراتيجية الغربية تصطدم بالواقع الصناعي في أوكرانيا

ديفيد بتر وإم. إل. آر. سمث

[Military Strategy Magazine - Summer 2025]

النازعات

ربيع الثاني ١٤٤٧

ديڤيد ج. بِتز (David J. Betz) أستاذ مادة الحرب في العالم الحديث في قسم دراسات الحرب في كلية «الملك» في لندن، وزميل رفيع في برنامج الأمن القومي التابع لمعهد «أبحاث السياسة الخارجية». معظم بحوثه عن التمرد ومكافحته، وحرب المعلومات، والحرب السِبرانية. يتولّى الإشراف على جماعة أبحاث التمرّد في الكلية، ويقوم بإسداء المشورة للجيش البريطاني في شؤون الاستقرار ومناهج مكافحة التمرد. وهو كذلك مدير مشروع ممتد لعامين بتمويل من وزارة الدفاع الأمريكية تحت اسم «الاستراتيجية والمجتمع الشبكي»، وله مدوّنةٌ بعنوان «ملوك الحرب».

إم. إل. آر. سِمث (M.L.R. Smith) أستاذ نظرية الاستراتيجية في مركز الدفاع القومي المستقبلي والأمن القومي في كانبيرا في أستراليا. شغل سابقًا رئيس قسم دراسات الحرب في كلية الملك في لندن. وله عدد وافر من المصنفات والمقالات في باب الاستراتيجية.

رغم الفيض الجارف من التعليقات التي تدفّقت في الإعلام الغربي حول الحرب الروسية الأوكرانية، فإنّ حقيقة ثابتة لا تزال ماثلة: قلة من المراقبين، خارج مسرح العمليات المباشرة، مَن يملك فهمًا بيّنًا أو ثابتًا لِما يجري على الأرض. إنّ «ضباب الحرب» -ذاك الذي كان مدى التاريخ نتيجةً لارتباك المعركة- قد ازداد استحكامًا في العصر الرقمي[١]، لا بفعل الروايات

---

[١] ضباب الحرب مصطلح مجازي شهير في أدبيات الفكر العسكري والاستراتيجي، يُنسَب لكلاوزڤيتز وإن لم يستخدم عين المصطلح، وإنما لفظ كلاوزڤيتز: «الاحتكاك». والمقصد: حالُ الغموض والالتباس والاضطراب الإدراكي الذي يعتري القادة والمقاتلين أثناء العمليات العسكرية، بحيث تُحجب عنهم صورة الواقع الكامل لِما يجري في المعترك، بسبب تشوش المعطيات، أو تضاربها، أو نقصها، أو تعذّر التثبت منها في زمن الحدث. فالحرب، على خلاف ما يُتصوَّر في النظريات المجردة أو غرف القيادة المحصّنة، ليست لوحةً واضحة المعالم، مرسومةً بريشة الدقة والعقلانية، بل هي في حقيقتها معتركٌ تعمّه الفوضى، وتختلط فيه الرؤية، وتضيع فيه الحقائق، ويصعب فيه التمييز بين ما هو واقع وما هو ظن، وبين ما هو تهديد حقيقي وما هو وهم، وبين ما هو نصر موهوم وما هو خطر كامن. وقد شبه كلاوزڤيتز هذا الاضطراب بـ«الضباب» الذي يلفّ ساحة المعركة، فيعمي الأبصار، ويشوّش الأحكام، ويعوق اتخاذ القرار الصائب في اللحظة المناسبة؛ فلا القائد يرى كامل تحركات عدوه، ولا الجندي يعلم حقيقة ما يجري حوله، ولا المخطط العسكري يستطيع أن يجزم بنتائج ضرباته أو ردود خصمه عليها، إذ كل عنصر في المعركة يقع تحت وطأة هذا «الضباب»، فلا يدري أهو يُقدِم على نصرٍ أم يُساق إلى مهلكة. وقد ازداد معنى «ضباب الحرب» غَورًا واستحكامًا في عصرنا الرقمي، إذ أضيف إلى الغموض المعهود غموض مأخذه ومؤدّاه كثرة المعلومات وسرعة تدفقها وتضارب مصادرها؛ فباتت كثرة البيانات، لا قلّتها، هي ما يحجب الرؤية ويُعسّر الحكم.

فحاصل القول أنّ ضباب الحرب هو ذاك الغشاء العقلي والنفسي والمعلوماتي الذي يُغشى به عقل القائد وذهن المقاتل في قلب المعركة، فيحول بينه وبين إدراك الواقع على حقيقته، وتقدير الموقف

الاستراتيجية المتنافسة والمقاطع مبتورة السياق للطائرات المسيّرة فحسب، بل أيضًا بسبب سُحب الأماني الغربية التي أضلّت العقول.

على مدار ثلاث سنوات تقريبًا، ظل سَيلٌ منتظم من المقالات –كتبها غالبًا مَن لا صلة لهم بساحة القتال إلا من باب المداومة التحريرية لا الخبرة العملياتية– يروّج لتنبؤات يغلب عليها الجزم، ويقلّ فيها البرهان. وجوهٌ مألوفة من أنصار الأطلسية[١]، مدعومةٌ بأعمدة الرأي في كبرى الصحف، أكدت مرارًا مُمَنّيةً جمهورها أنّ النصر بات في متناول أوكرانيا[٢]، أو أنّ نظام الرئيس

تقديرًا سليمًا، واتخاذ أمثل قرار في أضيق وقت. وهو من أظهر أسباب إخفاق الخطط، واضطراب الحملات، وسقوط الجيوش، ولا سيما حين يُضاف إليه عنصر الخوف، وسرعة التبدل، وخيانة الحدس. الحرب، في جوهرها، بحر من الضباب، لا تُضاء دروبه إلا بشعاعِ البصيرةِ والخبرة والحدس؛ فالحرب ليست علمًا دقيقًا، بل فن يُمارَس في ظل الضباب، أو كما يقول كلاوزڤيتز: «الحرب ميدانُ الريبة، وساحُ الضباب المعتم، إذ إنّ ثلاثةَ أرباع العوامل التي تُبنى عليها أفعال القادة مُغلفة بضباب من الشك يتفاوت كثافة وخفاء. ومن ثَم، فالحاجةُ ماسة إلى حُكمٍ رقيقِ الحس، نافذِ البصيرة، وإلى فطنة خبيرة تستشعر الحقيقة من بين غياهب التوهمات» (انظر: *On War*, p. 101، أو الفصل الثالث والسادس من الكتاب الأول في الطبعة العربية). [مويلك].

(1) Anne Applebaum, 'Ukraine War: Trigger for Global Change', *Pictet*, 15 June 2023.

الأطلسية: النهج السياسي والاستراتيجي المناصر للشراكة القوية بين أوروبا الغربية (وخاصة بريطانيا وألمانيا وفرنسا) وأمريكا، في سياق التحالف العابر للأطلسي، وعلى رأسه حلف شمال الأطلسي (NATO)، ظهرت في القرن العشرين، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية. [مويلك].

(2) See for example, Justin Huggler, 'The Week Vladimir Putin Lost Control', 4 March 2022; Richard Kemp, 'Putin Cannot Survive Another Year Like 2024', *Daily Telegraph*, 2 January 2025; 'Ben Wallace, 'History Proves Putin Can Be

الروسي **فلاديمير بوتين** آيلٌ إلى السقوط[١]. وما كانت هذه التصريحات، في الغالب، منبثقةً من واقع المعركة، بل أقرب إلى طمأنة نفسية متنكرة في ثياب التحليل الاستراتيجي؛ معالجة نفسية، لا بصيرة فكرية.

وقد انسجمت هذه الصناعة المعنوية تمامًا مع الأوهام التي شكّلت المذهب العسكري الغربي بعد الحرب الباردة. فقد تصوّر الساسة ومخططو الدفاع حقبة جديدة من الحروب: خاطفة وجراحية، تنفذها قوات استكشافية مرنة، بأسلحة دقيقة، وبأنظمة قيادة شبكية. حربٌ –في هذا الخيال– تكون فاصلةً وأنيقةً في آن، تُخاض عن بُعد، وتُحسم –مجازًا– قبل وقت الغداء.

لكنّ الذي جاءهم: باخموت (Bakhmut).

يسعى هذا المقال إلى تحليل الاصطدام بين أوهام العصر الرقمي وحقائق العصر الصناعي. لقد كشفت الحرب في أوكرانيا عن هشاشة الافتراضات العسكرية الغربية طَوال العقود الثلاثة الماضية، لا لتجديد استراتيجي مقصود، بل لأنّ الطبيعة البدائية للحرب عادت لتفرض نفسها؛ جاذبة النظريات الغربية

Defeated', *Daily Telegraph*, 23 February 2024 and Hamish de Bretton Gordon, 'Ukraine is Humiliating Putin at the Worst Possible Moment', *Daily Telegraph*, 6 January 2025.

(1) See Peter Dickinson, 'Zelenskyy Advisor: Defeat in Ukraine Will Spark Collapse of Putin Regime', *Atlantic Council*, 31 July 2023; 'Former CIA Agent Predicts Vladimir Putin to Be Overthrown in "Black Swan" Coup', *New York Post*, 23 December 2023.

من تجريداتها الرقمية إلى منطق الحرب الصلب: القوة، والاحتكاك، والإرادة السياسية المستدامة.

لم تأتِ «نهاية التاريخ».. إنما الذي عاد: المدفعية.

الأوهام الرقمية، والحقائق الحركية

لقد أخفقت الرقمنة –تلك التي بُشّر بها يومًا باعتبارها مزية الغرب الاستراتيجية الحاسمة[١]– في أن تثمر العوائد السياسية الحاسمة التي بشّر بها دعاتها بيقين وافر. كانت النظرية فاتنة ببساطتها: بدمج الذخائر الدقيقة، والرصد اللحظي، والقيادة الشبكية، يمكن كسب الحروب بسرعة ونظافة واقتصاد[٢]. وقد تجلّت هذه العقيدة منذ منتصف تسعينيات القرن الماضي في

(1) Andrew F. Krepinevich, *The Military Technological Revolution: A Preliminary Assessment* (Washington, DC: Center for Strategic and Budgetary Assessment, 2002).

(2) U.S. Army Training and Doctrine Command (TRADOC), U.S. Army in Multi-Domain Operations 2028, TRADOC Pamphlet 525-3-1 (Fort Eustis, VA, 6 December 2018).

من الطريف أنّ هذه الوثيقة تتضمن في ختام خطاب الغلاف إعلانًا بخط اليد يقول: «النصر يبدأ من هنا!»، وقد دوّنها قائد قيادة التدريب والعقيدة في الجيش الأمريكي (TRADOC)، الجنرال **ستيفن تاونسند** (Stephen J. Townsend).

مفهومٍ رُوِّج له على أنه «فرضُ صدمة ورعب طاغية على العدو، فورًا أو في الوقت المناسب، بما يشلّ إرادته على الاستمرار»[1].

ولكن كما حذر **كارل ڤون كلاوزڤيتز** (Carl von Clausewitz) قبل ما يقارب قرنين، فإنّ الحرب صدامُ إرادات متبادَل لا يُتنبأ به، وسياسي في جوهره[2]. إنها ليست تمرينًا إداريًّا على أنظمة متكاملة، ولا معرضًا تقنيًّا، بل هي عنفٌ منظّم، يُساق لبلوغ مآرب سياسية. الحرب فوضوية، ووحشية، وعصية أبدًا على الحلول المرتبة.

وما غفلت عنه هذه العقائد في كثير من الأحيان هو أمرٌ قِدمُه قِدمُ الاستراتيجية نفسها، لا يخفى على مَن عرك الحرب وخبِرها: إنّ الأعداء يتكيفون[3].

وأولئك الخصوم لم يستثمروا في السيطرة على الفضاء السحابي، ولا في التطبيقات والمنصات الرقمية فحسب، بل عمدوا كذلك إلى الوسائل الأعتق والأمتن: الكثرة، والتحمل، والعمق الصناعي[1].

---

(1) Harlan Ullman, James Wade, with L.A. Edney, Frederick Franks, Charles Horner, Jonathan Howe, Keith Brendley, *Shock and Awe: Achieving Rapid Dominance* (Washington, DC: National Defense University, 1996), p. xxv.

(2) Carl von Clausewitz, *On War* (trans. and ed. Michael Howard and Peter Paret) ((Princeton, NJ: Princeton University Press, 1976), p. 167.

(3) Mick Ryan, 'The Battle to Adapt to Russia's Evolving War Tactics is Essential if Ukraine is to Emerge Victorious', *ABC News* (Australia), 18 July 2023.

إنّ الفكرة التي تقول إنّ التفوق الرقمي سيجعل الحرب التقليدية أثرًا بعد عين، وأنّ مستقبل القتال لن يكون للكتل العسكرية والدبابات، بل للشبكات اللامركزية والضربات الدقيقة(٢)؛ لم تكن مجرد تفاؤل زائد، بل انقلبت رأسًا على عقب؛ فقد عمدت روسيا وغيرها من الفاعلين إلى الاستحواذ على الأدوات الرقمية نفسها، فنزعوا عنها غلافها المثالي، واستعملوها بمنهجية عملية، واقتصادية، وعلى نطاق واسع.

أما الغرب، فراح يزداد افتتانًا بأسطورته الرقمية الخاصة: رؤية لحرب تُدار بالشفرات والاتصالات، تركب فيها المُثُل الليبرالية موجة الخوارزميات(٣). ولم يتجلَّ هذا الوهم أكثر مما تجلى في الحماس الغربي لمجال «الحرب السِبرانية»(٤)؛ فهذا الميدان طالما مجّده صانعو القرار الغربيون بوصفه القادر على تحويل طبيعة الصراع، وإن كانت آثاره الاستراتيجية الفعلية كثيرًا ما خابت عن بلوغ المأمول(٥).

---

(1) David Betz, *Carnage and Connectivity: Landmarks in the Decline of Conventional Military Power* (London: Hurst, 2015), pp. 63-82.

(2) Barry D. Watts, 'Precision Strike: An Evolution', *The National Interest*, 2 November 2023.

(3) Manuel Castells, *The Rise of the Network Society: The Information Age: Economy, Society* (Oxford: Wily-Blackwell, 2009).

(4) Richard A. Clarke and Robert K. Knake, *Cyber War: The Next Threat to National Security and What to Do About It* (New York: HarperCollins, 2012).

(5) Ken Sengupta, 'Cyber Warfare a Key Part of UK's "Full-Spectrum" Defence Plan, Boris Johnson to Say, *The Independent*, 15 March 2021.

صحيح أنّ الأنظمة القتالية المتقدمة المعتمدة على الذكاء الاصطناعي تمتلك القدرة على تغيير طبيعة الحرب بطريقة حاسمة، وقد أحسن المحللون الغربيون صنيعًا في إدراك منافعها وما تَعِدُ به[١]، لكنّ المأزق يبرز حين يُنظَر إلى هذه التقنيات على أنها بدائل عن ثوابت الحرب الحديدية، لا مكمّلات لها: حشد القوة، والتكاليف المادية الحتمية للقتال الطويل.

وما زالت الوقائع تؤكد هذه المبادئ الجوهرية؛ فالرقمنة لم تُفْنِ الحرب، بل جعلتها تُنقل في الزمن الحقيقي؛ حروب تُبَثّ مباشرة، وتُحوّل إلى أهكومات (memed)، وتُسَوَّق لجماهير المشاهدين. وفي عالم موصول على مدار الساعة، صار النزاع يُعرض على خشبة المسرح الدولي[٢]. لكن إن تغيّر الوسيط، فإنّ النتائج لم تتغير[٣].

(1) See for example the informed comments by Dominic Cummings (former Chief Advisor to British Prime Minister Boris Johnson) contained in his lecture to the Pharos Foundation:, 'A Government Insider on Why Immigration Got Out of Control', *Pharos Foundation*, 20 June 2025.

(2) See Roger Stahl, Militainment, *Inc: War, Media, and Popular Culture* (London: Routledge, 2009).

(3) Antoine Bousquet, *The Scientific Way of Warfare: Order and Chaos on the Battlefields of Modernity* (London: Hurst, 2009).

فالحرب ما زالت دامية، مدمّرة، وبالرغم من المسيّرات عالية التقنية والذكاء الاصطناعي في ميدان المعركة، فإنها لا تزال بشرية في الصميم[1]. قد تغيّر التقنية كيف نقتل، لكنها لا تغير لماذا نقتل، ولا ما يفعل القتل بنا[2].

من الأحلام السائلة إلى الخرسانة المسلحة

حريٌّ بنا أن نستحضر الوهم الفكري الذي شكّل السلك الناظم للفكر العسكري والاستراتيجي الغربي في السنوات المتخمرة التي أعقبت الحرب الباردة؛ تلك الحقبة التي ظُنّ فيها أنّ التاريخ قد انتهى، وأنّ الحدود توشك أن تذوب.

كان ذلك زمنًا أعلن فيه **فرانسيس فوكوياما** (Francis Fukuyama) بانشراح عن انتصار الديمقراطية الليبرالية[3]، وقدّم فيه **زيغمونت باومان** (Zygmunt Bauman) مفهوم «الحداثة السائلة»[4]، وتأملَ فيه **مايكل ماندلباوم** (Michael Mandelbaum) في انحسار صراعات القوى الكبرى[5]، وتنبأ فيه **كينيتشي**

(1) See Samuel Moyn, *Humane: How the United States Abandoned Peace and Reinvented War* (London: Verso, 2022).
(2) See Christopher Coker, *Humane Warfare* (London: Routledge, 2001).
(3) Francis Fukuyama, *The End of History and the Last Man* (New York: Free Press, 1991).
(4) Zygmunt Bauman, *Liquid Modernity* (Cambridge: Polity, 2000).
(5) Michael Mandebaum, 'Is Major War Obsolete?' *Survival*, Vol. 40, No. 4 (1998), pp. 20-38.

أُومَاي (Kenichi Ōmae) بقدوم «عالم بلا حدود»، مستوٍ بفعل الأسواق العالمية، ومُسهّل بانسياب البيانات الرقمية[١].

لكنّ هذه الرؤى لم تحسن الشيخوخة. فبدلًا من أن تذيب الحدود، جعلها العصر الرقمي محل تحصين وتمنيع. وبعيدًا عن أن يكون قد دشّن يوتوبيا لا مكانية ما بعد الإقليم، فإنّ ما نشهده هو عودة عالمية إلى الجدران؛ مادية ورقمية واستراتيجية[٢]. فأسوار الحدود، كما الحواجز الأمنية الداخلية، تتكاثر، ومجالات الدفاع الصاروخي تتمدد، والمخابئ الحصينة تعود إلى الموضة من جديد[٣].

وأما في ميادين القتال –من غزة إلى دونباس– فلا الوسوم، ولا رزم البيانات، ولا «الانتصارات» السردية هي التي تسيطر على الأرض[٤]، بل بالجرافات،

---

[1] Kenichi Ōmae, *The Borderless World: Power and Strategy in the Interlinked Economy* (New York: HarperCollins, 1990).

[2] Stephen Graham, *Cities Under Siege: The New Military Urbanism* (London: Verso, 2011), pp. 89-152.

[3] David Betz, *The Guarded Age: Fortification in the Twenty-First Century* (Cambridge: Polity, 2024).

[4] Lawrence D. Freedman, 'Kyiv and Moscow Are Fighting Two Different Wars', *Foreign Affairs*, 17 February 2023.

والخرسانة المصبوبة، ورجال تترسوا وراء أكياس الرمل ونيران القذائف، غائصون في صدأ الحرب ومائها الآسن[١].

لقد قيل إنّ مستقبل الحروب سيكون خفيفًا، سائلًا، بلا احتكاك[٢]. وإنّ الدقة ستُغني عن الكثرة. وإنّ النزاعات ستُدار بإتقان نقي، وتُحسم حسمًا نظيفًا قبل حلول الدورة الانتخابية المقبلة، لكنّ الذي تَشكّل لم يكن تحولًا في النموذج، بل نكوص تاريخي: الفولاذ، والخنادق، وحساب الاستنزاف الطويل الممل[٣].

صحيح أنّ المسيّرات تحوم اليوم في السماء، حاملةً معها قاموسًا بصريًّا جديدًا للحرب، ومجموعة موسعة من أدوات الرصد والاستهداف[٤]، لكنّ أثرها الاستراتيجي كان في تعظيم أنماط الحرب التقليدية، لا تحويلها. فهي لم تُحدث ثورةً في ساحة القتال، بل أعادت تأهيلها صناعيًّا، وإن بوضوح «4k»، وإخراجٍ

---

(1) Michael Kofman, Rob Lee and Dara Massicot, 'Hold, Build, and Strike: A Vision for Rebuilding Ukraine's Advantage in 2024', *War on the Rocks*, 26 January 2024.

(2) Kris Osborn, 'Here Is the Army's Hyper-Networked Vision of Future War', *The National Interest*, 2 June 2020.

(3) Simon Stuart, 'Ukraine Underlines Enduring Nature of Warfare', *The Australian*, 11 September 2024..

(4) Grace Jones, Janet Egan and Eric Rosenbach, *Advancing in Adversity: Ukraine's Battlefield Technologies and Lessons for the U.S.', Policy Briefs*, 31 July 2023 (Belfer Center for Science and International Affairs, Harvard University).

سينمائي أنيق. لقد اتضح أنّ الحرب لم تتبخّر، بل أُعيد تصنيعها، بعرض نطاق أفضل، ورسوم معلوماتية أكثر أناقة.

أوكرانيا: دراسة حالة في التهور الاستراتيجي والتمني السياسي

لقد قُدّر لحرب أوكرانيا أن تكون عرضًا لإتقان الغرب الاستراتيجي؛ ساحةَ اختبار تتآلف فيها براعةُ حلف «الناتو» التقنية، وقوته الاقتصادية، وسلطته الأخلاقية، لردع العدوان الروسي دون انخراط عسكري مباشر[١]. كانت أوكرانيا، التي اعتمدت في البداية على ترسانة من العهد السوفييتي، تُسلّح تدريجيًّا بمعدات غربية –وُزعت بطريقة غير منتظمة، وكثيرًا ما اعترضها خلل لوجستي– في سياق دعم مالي ودبلوماسي واستخباري آخذ في التصاعد[٢].

---

(1) North Atlantic Treaty Organisation (NATO), Factsheet, November 2018; Ariel Cohen, 'Russia's War on Ukraine: Moscow's Pressure Points and U.S. Strategic Opportunities', *Atlantic Council*, 1 October 2024; European Council, 'Russia: EU Renews Economic Sanctions Against Russia's Military Aggression for Further Six Months', 26 July 2022; NATO, 'Press Briefing by NATO Secretary General Jens Stoltenberg Following an Extraordinary Meeting of the North Atlantic Council', 24 February 2022; U.S. Senator Graham Praises Ukrainian Resistance', 29 May 2023.

(2) 'Ukraine Has an Array of New Western Weapons: What Advantages Could They Offer in a Counteroffensive?' *The Independent*, 30 June 2023; Kateryna Bondar, 'How Ukraine Rebuilt Its Military Acquisition System Around Commercial Technology', *CSIS*, 13 January 2025.

وإن كان القادة الغربيون قد صوّروا غايتهم بأنها احتواء النزاع ودعم السيادة الأوكرانية(١)، فإنّ الأثر التراكمي –وفي بعض الأحيان التلميح الذي لا يكاد يوارى– كان أبعد من ذلك: تشويه صورة الكرملين، وإضعاف الدولة الروسية، واستعادة الإيمان الغربي المتآكل باتجاهه التاريخي بعد الحرب الباردة(٢). وإن لم تكن الإهانة هدفًا معلنًا، فإنها كثيرًا ما كانت الغاية المرجوّة.

إنّ التسليم بظاهر التحفظ الغربي يغفل السياق الأعمق، الفكري والاستراتيجي، ولا سيما النهج المعهود الراسخ في دوائر السياسة الغربية القائم على الانتصارات البلاغية، وأحلام تغيير الأنظمة. كما لاحظ مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية (CSIS) بصراحة لافتة: «ليس لدى الغرب استراتيجية لتغيير النظام في روسيا. ومع ذلك، إذا تمكّنت أوكرانيا من إنهاء النزاع بشروطها، فقد يسقط نظام بوتين. فشل الحرب... يجعل انهيار النظام نتيجةً ممكنة»(٣). إنّ مجرد تداول مثل هذه النتيجة علنًا –بل الترحيب بها في أحيان–

---

(1) See for example Luigi Scazzieri, 'How the West Can Contain – And End – the Conflict in Ukraine', *Centre for European Reform*, 15 September 2017, pp. 1-4; Rita Floyd and Mark Webber, 'Making Amends: Emotions and the Western Response to Russia's Invasion of Ukraine', *International Affairs*, Vol. 100, No. 3 (2024), pp. 1149–1169.

(2) See for example, Peter Dickinson, Arming Ukraine is Cheap Compared to the Far Higher Price of Russian Victory', *Atlantic Council*, 26 October 2023.

(3) Max Bergman, What Could Come Next? Assessing the Putin Regime's Stability and Western Policy Options', *CSIS*, 20 January 2023.

يُظهر طموحًا أبعد من مجرد الاحتواء. بل إنّ النص العلني وإن أكّد على الاستقرار والسيادة، فإنّ النبرة الخفية –التي تكررت في تعليقات الإعلام، وأدبيات مراكز الأبحاث، وخطابات المسؤولين– كثيرًا ما مالت إلى الطموح العقابي، وتجريد النظام الروسي من الشرعية، بل الدعوة أحيانًا إلى تفكيك الدولة الروسية[١].

وقد ذهب «المجلس الأطلسي – Atlantic Council» إلى أبعد من ذلك، حين دعا الغرب إلى «تقويض الدعم الشعبي الروسي للحرب، وتدمير أسطورة التفوق العسكري الروسي، وتقليص مجال نفوذ الكرملين»[٢].

وعلى هذا النحو، بدا أنّ واشنطن وحلفاءها أقل اهتمامًا باستعادة النظام الدولي المستقر، وأكثر حرصًا على جعل الحرب ميدانًا لإعادة فرض السيادة الليبرالية. وكما جاء في أحد تقارير معهد «بروكنغز – Brookings»: «ينبغي أن يكون مبدأ «الصدمة والرعب» هو النغمة الأساسية في تقليص القدرة الاقتصادية لروسيا على خوض الحرب»[٣]. وإنْ لم يُصَغْ هذا الموقف بوصفه

---

(1) U.S. Helsinki Commission, ‘Decolonizing Russia: A Moral and Strategic Imperative’, *Commission on Security and Cooperation in Europe*, 23 June 2022.

(2) Taras Kuzio, ‘A Russian Invasion of Ukraine Could be Vladimir Putin’s Downfall’, *Atlantic Council*, 21 December 2021.

(3) Torgjörn Becker and Yuriy Gorodnichenko, ‘Time for a Complete Ban on Economic Ties with Russia’, *Economics at Brookings*, Policy Brief, July 2024, p. 1.

سياسة رسمية، فإنه قد حمل منطقًا انتقاميًّا واضحًا، تجاوز نطاق الاعتبارات التكتيكية إلى مجال القصاص الأيديولوجي.

لكنّ حرب الوكالة الغربية في أوكرانيا بدأت تشبه إطلاق منتج فاشل؛ وُعِد به فوق طاقته، وقُدّم بأدنى مما وُعِد، وما يزال يترنح على أبخرة دعايته البالية. فبينما كانت التوقعات الغربية في البداية متحفظة -ولا سيما في بعض أنحاء أوروبا التي افترضت نصرًا روسيًّا سريعًا- فإنها ما لبثت أن انقلبت إلى خطاب متصاعد حين صمدت أوكرانيا.

وفي غضون أسابيع، اندفعت السردية من تضامن دفاعي إلى طموحات أعظم بكثير: تعهّداتٌ بالدعم «ما دام الأمر يتطلّب»[١]، وتصريحاتٌ جريئة عن صراع عالمي من أجل الديمقراطية[٢]، وتصوير أوكرانيا بوصفها «جزءًا من أسرتنا الأوروبية»[٣].

لقد تحولت الأهداف الاستراتيجية في الحرب إلى ما يشبه الورم الخبيث، متجاوزة حدود العقلانية السياسية، لتغدو جزءًا لا يُفصل عن الهوية السياسية والأخلاقية للغرب نفسه.

---

(1) Franco Ordoñez, 'Biden Says He'll Back Ukraine As Long as it Takes: But Some Take Aim at the Price Tag', *NPR*, 20 February 2023.

(2) Susan Stokes, 'The Global Struggle for Democracy Is in Ukraine', *Project Syndicate*, 4 March 2022.

(3) Ursula von der Leyen, 'Speech by President von der Leyen at the Munich Security Conference 2025', 18 February 2025.

أما اليوم، وقد توارى النصر وتعثّر الزخم، فقد غدت هذه الحربُ مُكلفةً أكثر من أن تُهجَر، ومُحرِجةً أكثر من أن يُعترَف بإخفاقها.

لقد تغلغل النزاع في خطاب المبالغة الأخلاقية، وفي الصورة الذاتية القصوى لكلٍّ من روسيا والغرب، إلى حد لا يتيح لأي من الطرفين مخرجًا واضحًا من هذا المأزق[١].

أخطاء التقدير اللاحقة جديرة بالتوثيق:

القوة الناعمة: مفهوم طالما مُجّد في أروقة السياسات الغربية، ويعني استخدام أدوات غير عسكرية لتوظيف وسائل الإقناع الثقافي وكسب العقول والأفئدة دون الحاجة إلى القسر[٢]. لكنّ الأفئدة، كما تبيّن، ليست معروضة للبيع، والعقول مشغولة بالتقليب المحموم في مقاطع المسيّرات على تطبيق «تِك تَك – TikTok»، أو منسحبة كليًّا من المشهد[٣]. أما العمليات الدعائية التي

(1) M.L.R. Smith and Samir Puri, 'Every War Must End: And it is Time to End Western Magical Strategic Thinking in Ukraine', *Military Strategy Magazine* Exclusives, 19 September 2024.

(2) Joseph Nye, Soft Power: The Means to Success in World Politics (New York: Public Affairs, 2004).

وقد تشمل هذه الأدوات: الدبلوماسيةَ، والمعونةَ الإنسانية، والمساعي الرامية إلى تعزيز مؤسسات الحكم. أي بعبارة أخرى: أدوات السياسة المعهودة.

(3) Michael Savage and Kiran Stacey, 'Ministers Accused of Being "Asleep at the Wheel" Over UK's Soft Power Around the World', *The Guardian*, 7 June 2025.

ركزت على السفارات المزدانة برايات قوس قزح، والوسوم الناقدة المتشدّقة، فلم تُفلح في تحريك الجماهير ولا في ترجيح كفة الجبهات[١].

الحرب الاقتصادية: «العقوبات الجهنمية» التي طالما رُوِّج لها[٢]، كانت مرصودةً لتقويض الاقتصاد الروسي سريعًا[٣]. لكن ما حدث هو أنّ الناتج المحلي الإجمالي لروسيا تجاوز معظم بلدان منطقة اليورو، التي ما تزال قدرتها الصناعية تترنح[٤]. وألمانيا، على سبيل المثال، أدخلت قطاعها الصناعي في غيبوبةٍ ذاتيةِ التسبب؛ ضرر جانبي في مغامرة أخلاقية لم تُعنَ بحساب التكاليف قبل أن تضغط الزناد[٥].

المصداقية الاستراتيجية: التي طالما تألقت بهالة الحرب الباردة، أصبحت سمعة حلف «الناتو» الآن متأرجحة بين أن يكون بقايا احتفال طقسي، أو مكتب علاقات عامة لإدارة الأزمات. فالحلف بات أشبه بجلسة استحضار

---

(1) U.S. Embassy in Ukraine, 'LGBTI Pride Month', 1 June 2018; Conor Finnegan, 'Biden Admin. Grants "Blanket Authorization" to Fly Pride Flag at Embassies', *ABC*, 24 April, 2021.

(2) 'Kostiantyn Yelisieiev, 'A Call to Impose "Sanctions from Hell" on *Russia', Euobserver*, 16 March 2022.

(3) 'Congressional Research Service, 'Russia's War on Ukraine: The Economic Impact of Sanctions', 3 May 2022.

(4) 'IMF raises forecast for growth in Russia's GDP by 0.1 pp in 2025, global estimate also positive thanks to U.S.', Interfax, 17 January 2025.

(5) Matthew Karnitschnig, 'Rust Belt on the Rhine', *Politico*, 13 July 2023; Piero Cingaro, 'Germany's Economic Struggles Deepen: A Back-to-Back Recession Loom', *Euronews*, 9 October 2024.

أرواح غايتها إعادة إحياء هدف استراتيجي وُوريَ الثرى؛ أيد متشابكة حول الطاولة، تهمس بالشعارات، وتترقّب ظهور شبح عام ١٩٨٩م ليُسدي لها الرأي[١]. وهو يتأرجح بين التلويح بالفضيلة والمبالغة في التهديد، لا يدري أهو مكلّفٌ بردع الأعداء أَم بطمأنة نفسه بأنه لا يزال ذا شأن.

والواقع، على قسوته، ليس خفيًّا؛ فقد خسرت أوكرانيا استراتيجيًّا من حيث إنّ استعادة أراضيها كاملة قبل عام ٢٠٢٢م بات أمرًا بالغ العسر، فضلًا عن شبه جزيرة القرم التي ضُمّت إلى روسيا منذ عام ٢٠١٤م.

ورغم تمسك بعضهم بالأمل في أنّ أوكرانيا قد تظفر بالنصر بمجرد عدم خسارتها[٢]، فإنّ هذا ليس استراتيجية، بل مجرد حالة من التعليق والمراوحة. وإنّ القول بأنّ أوكرانيا ستنتصر ما دامت لا تنهزم، هو من جنس التعريفات المفرغة من معناها، ويُسقِط السؤال الاستراتيجي من الاعتبار باستبدال الصمود بالنصر.

---

(1) See for example Dan Sabbagh, 'Russia Could be Ready to Attack NATO Within Five Years, Says Secretary General', *The Guardian*, 10 June 2025.

(2) See Mark Voyager and Yuliya Shtaltovna, 'Ukraine's Daring Drone Victory Is a Win for the US, Too', *The National Interest*, 10 June 2025.

وباعث هذا الميل نزوع أوسع في الخطاب الغربي إلى إعادة تعريف النجاح بوصفه مجرد الثبات لأمد غير معلوم كعبارة: «ما دام الأمر يتطلب ذلك» التي دخلت قاموس الاستراتيجية الغربية منذ عام ٢٠١٠م[١].

بل إنّ الموقف الراهن يستحضر التصعيد المستعصي على التفسير الاستراتيجي في الحرب العالمية الأولى؛ حين بلغ النزاع ذروةً غيرت النظام الدولي بأسره، لأنّ الزعماء السياسيين -وقد ألقوا بأنفسهم في أتون الصراع طلبًا للنصر، مهما كانت صورته- ما عادوا قادرين على التراجع عن ضرورة إثبات قوة إرادتهم وتفوق جانبهم. وكان الأسوأ من هذا، الخوف الدفين من الهزيمة، وما قد تجرّه من حساب عسير، تزداد كلفته النفسية والسياسية صعوبةً حتى على مجرد التصور. لكنّ أفدح المآسي على الإطلاق كانت الحاجة السياسية الحتمية، ما إن تنطلق رحى القتال، إلى إقناع الشعوب بأنّ تضحياتهم لم تذهب سدًى[٢].

بلاغة الالتزام المفتوح الأمد لها عمر افتراضي معروف، فهي تبدو حازمة، وتؤجل الأسئلة العسيرة، وتتيح، على نحو مريح، اعتبار كل شيء تقريبًا تقدمًا، حتى لا تعود كذلك. لكنها، من الوجهة الاستراتيجية، خطاب غامض، و-

---

[1] ‘UK to Stay in Afghanistan “As Long as It Takes”’, *Reuters*, 8 November 2010.

[٢] في هذا الشأن، انظر:

Bernard Brodie, *War and Politics* (London: Cassell, 1973), p. 25.

كما تُظهر سجلات التجاوزات الغربية في أماكن مثل أفغانستان- عُرضةٌ للانهيار على المدى البعيد. لقد دُفعت الحرب مرارًا باعتبارها نصرًا في الفعالية الاستراتيجية؛ فطالما أنّ الأوكرانيين هم مَن يخوضون القتال، يبدو أنّ الغرب يستفيد من إنهاك القدرة العسكرية الروسية من غير أن يتحمّل كلفة مباشرة. وقد عبّر السيناتور الأمريكي **ليندسي غراهام** (Lindsey Graham) عن ذلك بوضوح فاقع، فقال: «يعجبني المسار الهيكلي الذي نسير عليه هنا. طالما أننا نمد أوكرانيا بما تحتاجه من سلاح ودعم اقتصادي، فإنهم سيقاتلون حتى آخر فرد»[١].

إنّ مثل هذا الموقف، على ما فيه من تجرد أخلاقي سافر، قد يُسوّغ -من جهة الواقعية السياسية الباردة- لو كانت أُسُسُه العسكرية والاقتصادية سليمة، لكنّ الإشكال، أنها ليست كذلك.

فقد أقرّ الجنرال الأعلى في «الناتو»، **كريستوفر كافولي** (Christopher Cavolli)، مؤخرًا قائلًا: «على الرغم من الخسائر الفادحة التي تكبدها الروس في المعترك في أوكرانيا، فإنّ الجيش الروسي يُعاد تشكيله وينمو بوتيرة أسرع مما توقع

---

[1] Quoted in Branko Marcetic, ‘Ukraine’s Tragedies: A “Good Deal” for some War Supporters’, *Responsible Statecraft*, 26 February 2024.

أكثرُ المحللين. بل إنّ الجيش الروسي، الذي تحمل العبء الأثقل من القتال، أضحى اليوم أكبرَ حجمًا مما كان عليه في بداية الحرب»[١].

ووجب أيضًا التنويه بأنّ التقديرات الغربية لخسائر روسيا مشكوك فيها بدرجة كبيرة، إذ اعترف البنتاغون نفسه بأنّ تقديراته لأعداد القتلى الروس هي «تقديرات منخفضة الثقة»، تستند إلى مصادر شتى –من صور الأقمار الصناعية، إلى المكالمات الملتقطة، إلى منشورات شبكات التواصل– وأنّ انعدام الشفافية يجعلها، في أحسن الأحوال، صورة غير موثوقة للحرب[٢].

وكذلك، خسرت أوروبا، وإن على نحو تدريجي وأشد كلفة، من الوجهتين الاقتصادية والسياسية[٣]، بل لمن أراد أن يُبصر بعيدًا عن «الغشاوات الأيديولوجية»، فإنّ النتيجة لم تكن موضع شك قط؛ إذ كانت منذ البدء كامنةً في فاتحة الحرب[٤]. وبالمقارنة مع المغامرات الغربية الأخيرة –في أفغانستان،

[1] Quoted in Stavros Atlamozoglou, 'Three Years into the Ukraine War, Russia's Army Is Stronger Than Ever', *National Interest*, 9 April 2025.
[2] Quoted in Anatoly Kurmanaev, 'Russia Has Suffered Colossal Losses in Ukraine: Is Its Army Depleted?' *New York Times*; see also 'Estimating Russian Casualties on the Ukrainian Front', 31 May 2025,
[3] He Jun, 'The Decline of Europe Becomes More Evident', *Modern Diplomacy*, 23 February 2024.
[4] See M.E. Sarotte, *Not One Inch: America, Russia, and the Making of Post-Cold War Stalemate* (New Haven, CT: Yale University Press, 2022).

والعراق، وليبيا، وسورية- فأوكرانيا ليست استثناءً، بل فصلًا آخر في سلسلة ممتدة من الإخفاقات.

ومن الطريف، إذا ما نظرنا إلى هذه «الانتصارات اللامعة» في سجل السياسات الغربية، أنها تثير تساؤلًا بالغ الإحراج: لماذا تتكرر الأخطاء الاستراتيجية بهذا الانتظام البيروقراطي العجيب؟ لماذا يعود الفشل الاستراتيجي كداء موسمي معلوم الميعاد لا يُعالج؟

كأنّ منطق السياسات بات ذاتي الدفع، لا يتحرك عبر التأمل الرصين، بل بتَكرار آلي للخطأ، كأنه ماض في خريطة دراسية لكلية أركان خفية، كُتبت بالحبر السري[١]. بعبارة كلاوزفيتز: لقد أتقن الغرب نحو الحرب، لكنه فقد معناها[٢].

فاستبدل الهدف بالحركة، والغاية بالدقة، والمعنى السياسي بالاستعراض الدعائي.

الجغرافيا السياسية بعد الفضيلة: التباين العظيم

من أهم الأهداف الاستراتيجية العكسية التي سجّلها الغرب في السنوات الأخيرة -وهي مما كان يسهل التنبؤ به من أي أحد لم تسكره نشوة «نهاية

---

(1) M.L.R. Smith, 'Why is the West So Rotten at Strategy?' *International Affairs*, Vol. 100, No. 4, July 2024, pp. 1591–1614.
(2) Clausewitz, *On War*, p. 605.

التاريخ»- محاولةُ عزل روسيا[١]. وقد رُوّج لها باعتبارها دفاعًا مبدئيًّا عن «النظام العالمي القائم على القواعد»، لكنها عجّلت، في الواقع، ببزوغ عالم متعدد الأقطاب؛ ذاك الذي طالما أنكره النظام الليبرالي واعتبره مجرد خيال مهذب[٢].

فالصين وروسيا اليوم أشدُّ تحالفًا من أي وقت مضى[٣]. وتحالف «برِكس»، الذي كان يُعدّ لسنوات مجرد شعار يبحث عن مضمون جيوسياسي، أضحى فجأة موضع اهتمام جاد. بل إنّ دولًا مثل تركيا وإندونيسيا -وهما ليستا معروفتين بخطاب معاد للغرب- تبدآن بالتفكير في الانضمام إليه تحرزًا من تقلّبات السياسات الغربية[٤]. ومسألة إلغاء الاعتماد على الدولار، التي طالما

(1) M.L.R. Smith, 'The Return of Grand Strategy in the Indo-Pacific: The Fall Out from the Russia-Ukraine War', *The Hungarian Conservative*, Vol. 4, No. 1 (2024), pp. 65-73.

(2) Guy Falconbridge, 'BRICS is for the Fairies until China and India Get Serious, "Mr BRICS" Says', *Reuters*, 24 October 2024; Maria Repnikova, 'Russia's War in Ukraine and the Fractures in Western Soft Power', *Place Branding and Public Diplomacy*, Vol. 19 (2023), pp. 190–194. 'Xi, Putin Hold Talks in Beijing, Charting Course for Enhanced Ties', Xinhua, 17 May 2024,

(3) 'Xi, Putin Hold Talks in Beijing, Charting Course for Enhanced Ties', Xinhua, 17 May 2024.

(4) 'Turkiye Applies to Join BRICS', *Middle East Monitor*, 2 September 2024; Sebatian Strangio, 'Indonesia Officially Becomes First Southeast Asian Member of BRICS', *The Diplomat*, 8 January 2025.

كانت حكرًا على منظّرين هامشيين، بدأت تتسلل بهدوء إلى المحافظ المؤسسية(١).

أما محاولة تقويض الروبل، فلم يُكتب لها النجاح كذلك، بل إنّ الروبل أثبت متانته واستقراره، متفوقًا بذلك على عدد من عملات دول مجموعة السبع(٢). وفي الوقت نفسه، ارتد الهجوم الاقتصادي الأوسع ضد روسيا ككرة النار، فأصاب قطاعات رئيسة من الصناعة الغربية بأضرار فادحة؛ أضرار لم يكن لجلسة تخطيط استراتيجي ذهبت الفودكا بعقول أصحابها داخل الكرملين أن تحلم بها(٣). أما الصناعة الألمانية ترسل اعتذارها من خلف أبواب المصانع الموصدة(٤).

وأما النتيجة الجيوسياسية الثانوية، فهي نشوء تكتل أوراسي جديد(٥)، لا يقوم على تماثل أيديولوجي، بل على تشكيك مشترك في الغرب، وخصوصًا في

---

(1) 'De-dollarization Gains Momentum: 12 Countries Abandoned the US Dollar for Trade', *Observer Diplomat*, 17 January 2025.
(2) International Monetary Fund (IMF), 'Policy, Pivot, Rising Threats', *World Economic Outlook*, October 2024.
(3) Patricia Nilsson, Patrick Mathurin and Laura Pitel, 'German Manufacturing Job Losses Deepen Fears Over Industrial Decline', *Financial Times*, 19 February 2025.
(4) David Smith, 'Why is Germany's Economy in Such a Poor State?' *The Times*, 22 February 2025.
(5) Yaroslav Trofimov, 'Has World War III Already Begun?' *Wall Street Journal*, 13 December 2024.

صورته المزدوجة المتمثلة في الاتحاد الأوروبي وحلف «الناتو»، اللذين يبدوان اليوم منصرفَين ومترهّلَين وعاجزَين عن وضع حَدٍّ عالمي يُلزم سواه بالتقيد به[١].

ولا يعني ذلك أنّ النظام الدولي ما بعد ١٩٤٥م قد انهار، لكنّ كثيرًا من الدول لم تعد ترى نفسها مضطرة للاختيار بين رعاية الغرب أو درَك «الدولة المنبوذة»[٢].

وما بات أكثر وضوحًا مع الأيام، هو أنّ النظام العالمي الذي تدّعي واشنطن وبروكسل الدفاع عنه -القائم على الليبرالية الدولية وأعراف ما بعد الحرب الباردة- لم يعُد يشبه الواقع المتشظي المتعدد الأقطاب الذي يعيشه معظم العالم.

فبينما يكرر زعماء الغرب، كالرئيس الأمريكي السابق **جو بايدن** (Joe Biden) (٢٠٢١-٢٠٢٥م) والأمين العام لحلف «الناتو» **ينس ستولتنبرغ** (Jens

(1) Kalim Siddiqui, 'The Decline of the West and Shifting Dynamics in the Global Political Economy', *World Financial Review*, 3 December 2024.

(2) Leslie Vinjamuri, et al, 'Competing Visions of International Order', *Chatham House*, 27 March 2025.

(Stoltenberg تمجيدهم لذلك النظام على أنه حصن للبشرية جمعاء[١]، تبقى صلته بالعالم خارج الغرب موضع شكٍّ متزايد.

أثر الكثرة: عودة الحرب الصناعية

على مدى عقود، أعلَت العقيدة العسكرية الغربية من شأن السرعة والرشاقة والدقة بأنها الفضائل المحددة للحرب الحديثة. أما الكثرة، فقد نُحِّيَت إلى هامش التاريخ إذ عُدّت من بقايا الماضي يحسُن أن تودَع إلى جانب البنادق المُصوَّنة والحِراب. كانت الحكمة السائدة أنّ النجاح في المعترك لم يعُد منوطًا بكثرة العدد، بل إنّ التفوق في المعلومات وسرعة القيادة كان يُتوقّع أن يُقصي حرب الاستنزاف من الوجود وجعلها من مخلّفات الماضي[٢]. ويُنظر إلى الحشد الواسع

---

[١] على سبيل المثال، صرح بايدن في «منتدى دافوس» عام ٢٠١٧م بقوله: «إنّ عنايتنا الدقيقة ببناء النظام العالمي الدولي والحفاظ عليه، مع الولايات المتحدة وأوروبا في مركزه... تجعل من الضروري أن نتحرك على وجه العَجَل للدفاع عن النظام الدولي الليبرالي». انظر:

World Economic Forum, 'Defend the Liberal International Order – Top Quotes from Joe Biden's Davos Swansong', 18 January 2017.

في عام ٢٠٢٢م، صرح أحد مستشاري البيت الأبيض، في سياق الدعم الأمريكي لأوكرانيا، قائلًا: «إنّ الأمر يتعلّق بمستقبل النظام العالمي الليبرالي، وعلينا أن نقف بثبات». انظر:

Zoe Strozewski, Video of Biden Advisor Defending "Liberal World Order" Viewed Over 1M Times', *Newsweek*, 1 July 2022. See also, NATO, 'Speech, By NATO Secretary General, Jens Stoltenburg, at the Heritage Foundation Followed by Audience, Q&A, 31 January 2024.

[2] See David S. Alberts, John J. Garstka and Frederick P. Stein, *Network Centric Warfare: Developing and Leveraging Information Superiority* (Washington, DC: Department of Defense, Command and Control Research Program, 2002).

لا أنه غير نافع فحسب، بل أنه استراتيجية بالية وبطيئة ومكلِفة، تُذكّر بعصور كالحة امتدت فيها الحروب أطول من دورة الأخبار.

ثم جاءت أوكرانيا. ثم غزة. ومؤخرًا اندلاع الأعمال القتالية بين إسرائيل وإيران. وجاء معها، على غير رغبة، التذكير بالحقيقة القبيحة. قد نُمعن في جدال في معنى الكثرة في العصر الرقمي وهل يمكن أن تُحشد القدرات السِبرانية أو تدفّقات المعلومات كما تُحشَد الدبابات والقذائف والمشاة[١]. لكن الحرب في أوكرانيا جاءت بالكلمة الفصل: لا تزال الكثرة ذات شأن، بمعناها العتيق؛ المادي والحركي[٢]. فالقدرة الصناعية –لا كما تُعرض في عروض الشراء البراقة، بل كما تُقاس بالقذائف والمسيّرات وقطع الغيار– لا تزال هي التي تحسم مصائر الحروب[٣].

---

(1) See Paul Murdock, 'Principles of War on the Network Centric Battlefield: Mass and Economy of Force', *Parameters*, Spring 2002, pp. 85-95; David Alman and Heather Veneble, 'Bending the Principle of Mass: Why That Approach No Longer Works for Airpower', *War on the Rocks*, 15 September 2020; Benjamin Jensen and Jake S. Kwon, 'The Convergence Conundrum: Achieving Mass in the Era of Artificial', *Modern War Institute*, 1 April 2025.

(2) Alex Vershinin, 'The Return of Industrial Warfare', *RUSI (Royal United Services Institute)*, 17 June 2022.

(3) Loren Thompson, 'Urgent Military Need For 'Affordable Mass' Can't Wait for a New Generation of Smart Munitions', *Forbes*, 16 May 2023.

والأرقام في أوكرانيا تُبِينُ عن دروس بليغة:

– تنتج روسيا قذائف المدفعية بمعدل يقارب ٣:١ مقارنةً بالجهود المشتركة للغرب بأسره(١).

– وتصنع مركبات مدرعة، ومسيّرات، وصواريخ أكثر مما تُنتجه دول «الناتو» مجتمعة(٢).

– وقد حققت ذلك دون أن تتخلّف عن سداد ديونها(٣)، أو أن تحرق اقتصادها الداخلي(١)، بل اعتمدت على مصانع الحقبة السوفييتية التي أُهِّلت، وعلى ماكينة تعبئة حربية، رغم قسوتها، أثبتت نجاعتها(٢).

---

[1] See Yuri Zoria, 'Russia Producing Three Times More Artillery Shells than US and EU for Ukraine', *Euromaidan*, 11 March 2024; Deborah Haynes, 'Russia is Producing Artillery Shells Around Three Times Faster than Ukraine's Western Allies and For About a Quarter of the Cost', *Sky News*, 26 May 2024.

[2] 'Russia Ramps Up Drone Production as NATO Promises One Million Drones to Ukraine in 2024', *Defense Mirror*, 16 February 2024; 'Russia Produces over 1,400 ballistic Iskanders and 500 Kh-101s per year – Economist', *Censor.Net*, 9 May 2025; Tom Porter, 'Russia Produces As Much Ammo in 3 Months As All of NATO Does in a Year, Says NATO Chief', *Business Insider*, 11 June 2025; David Axe' How To Outfight Russia: Destroy At Least 4,500 Armored Vehicles A Year For Two Years—And Do It Without America's Help', *Forbes*, 16 February 2024.

(٣) ديون روسيا، في واقع الأمر، أدنى بكثير من ديون كثير من الدول الغربية، إذ بلغت ٢٩٢,٧ مليار دولار، أي ما نسبته ١٤,٦٪ من الناتج المحلي الإجمالي حتى آذار ٢٠٢٤م. ويُقارن هذا بنسبة دين إلى ناتج تبلغ ١٢٠,٨٪ في الولايات المتحدة (الربع الأول من عام ٢٠٢٥م)، و١١٣٪ في فرنسا (٢٠٢٤م)، و٩٥,٩٪ في المملكة المتحدة (٢٠٢٤م)، و٦٣,٨٪ في ألمانيا (٢٠٢٥م). انظر:

أما الرد الغربي فلم يكن على القدر المأمول؛ إذ يعاني في الحفاظ على مخزونه الخاص، فضلًا عن دعم مخزون وكيله الأوكراني(٣). فمعدل إنتاج الولايات المتحدة من صواريخ الاعتراض «SM-3»، على سبيل المثال، يبلغ اثنتي عشرة صاروخًا في السنة(٤). وليس هذا خطأً مطبعيًّا. إنها كمية لا تكاد تكفي لحماية حاملة طائرات واحدة، فضلًا عن دولة، أو قارة، أو نظام تحالفي بأسره.

إنّ ما نشهده ليس مجرد حرب بين روسيا وأوكرانيا، بل صدام بين نظريتين متنافستين في فن الحرب: نموذج الغرب المفضل القائم على الرشاقة الرقمية،

TakeProfit.org; Federal Reserve Bank, 'Federal Debt: Total Public Debt as Percent of Gross Domestic Product', *Federal Reserve Bank*; 'United Kingdom Public Sector Net Debt to GDP', Trading Economics; 'Economic Forecast for Germany', European Commission.

(1) Aleksandra Prokopenko, 'Putin's Insatiable Appetite for War', *Financial Times*, 5 June 2024.

(2) Matthew Luxmoore, 'Russia Taps Soviet-Era Stockpiles as Armored-Vehicle Supply Dwindles', *Wall Street Journal*, 21 December 2024; Jack Watling and Oleksandr V. Danylyuk, 'Winning the Industrial War: Comparing Russia, Europe and Ukraine, 2022–24', *Occasional Paper* (London: RUSI, April 2025), pp. 7-27.

(3) Jake Epstein and Chris Panella, 'U.S. Navy Burns Through Key Missiles Needed for China Fight, *Business Insider*, 11 October 2024.

(4) Wes Rumbaugh, 'Did the U.S. Defense of Israel from Missile Attacks Meaningfully Deplete Its Interceptor Inventory?' *Center for Strategic and International Studies (CSIS)*, 4 December 2024.

ونموذج الحرب الاستنزافية الصناعية الذي عجّل في طيّه في صفحات التاريخ[١]. أحد النموذجين يبدو كعرض على منصة «TED»، والآخر يبدو أنه ينتصر[٢].

نظريات أنيقة وواقع موحل: حدود المناورة وعودة الحرب الحديثة إلى الماضي

لطالما مجّدت العقيدة العسكرية الغربية، على مدى عقود، حربَ المناورة؛ عمليات سريعة الإيقاع تهدف إلى تطويق العدو، وضرب نقاط ضعفه، وتفكيك معنوياته قبل أن يتسنى له إعداد دفاع متماسك[٣]. وهي، في جوهرها، تصوّر للحرب بوصفها رقصةً محكمة: أنيقة، حركية، ويُستحسن أن تُختَتَم قبل أن يبرد طبق الريزوتو (risotto).

أما حرب الاستنزاف، فقد طُرِحت جانبًا كأنها من مخلفات العصور الغابرة؛ فجة، غير بارعة، وتستدعي من الذاكرة صور حرب الخنادق في الحرب العالمية

---

(1) Matthew Slusher, *Lessons from the Ukraine Conflict: Modern Warfare in the Age of Autonomy, Information, and Resilience* (Washington, DC: CSIS, May 2025), pp. 1-12.
(2) 'Exclusive: Russia has Secret War Drones Project in China, Intel Sources Say', *Reuters*, 26 September 2024.
(3) See William R. Richardson, 'FM-100-5: The AirLand Battle in 1986', *Military Review*, January-February 1997, pp. 174-177; 'Mastering Maneuver Warfare Principles for Effective Strategy', *Total Military Insight*, 18 June 2024; Randy Noorman, 'The Return of the Tactical Crisis', *Modern War Institute*, 27 March 2024. See also Christopher Tuck, 'The Future of Manoeuvre Warfare', in Mikael Weissmann and Niklas Nilsson (eds.), *Advanced Land Warfare: Tactics and Operations* (Oxford: Oxford University Press, 2023), pp. 25-42.

الأولى، فلا تُؤخذ على محمل الجد في زمن دمج الحساسات والذخائر المُوجّهة بالأقمار الصناعية[١].

لكنّ ساحة المعركة تأبى الانصياع لهذا التصور؛ فالهجمات المضادة التي كثر التطبيل لها في أوكرانيا، تعثرت في حقول ألغام عميقة، وفي نظم خنادق لا تختلف كثيرًا عن مشاهد عام ١٩١٦م[٢]. أما الدفاعات الثابتة الروسية، التي وُصِفَت في كثير من التقديرات الغربية بأنها «عتيقة وغير فعّالة»[٣]، فقد أثبتت أنها ليست فقط صامدة، بل قاتلة وناجحة بامتياز. وكذلك غزة، لم تقدّم لمخيلة المناورة إلا مزيدًا من الخذلان: لا حرب خاطفة، بل زحف دامٍ عبر الخرسانة والفوضى[٤].

---

(1) William Lind, *Maneuver Warfare Handbook* (London: Routledge, 1985), p. 4.

(2) David J. Betz, 'Russian Fortifications Present an Old Problem for Ukraine', *Engelsberg Ideas*, 20 July 2023.

(3) 'Russia's Military Strategies and Tactics: Outdated and Ineffective', *Eureporter*, 19 August 2024. See also Rob Lee and Philip Wasielewski, 'Russia's War in Ukraine: Critical Vulnerabilities to Russia's Military Operations and Systems', *Foreign Policy Research Institute (FPRI)*, 30 June 2023; Seth G. Jones, Alexander Palmer and Joseph S. Bermudez, Ukraine's Offensive Operations: Shifting the Offense-Defense Balance, CSIS Briefs, June 2023, pp. 1-15; Riley McCabe, 'Russia Says it is Winning: The Data Says Otherwise', *The Washington Post*, 12 June 2025.

(4) John Spencer, 'These are the Challenges Facing Israeli Ground Forces in Gaza', *Modern War Institute*, 11 October 2023.

أما الثورة المشهودة في فن الحرب الدقيق -بكل ما فيها من قنابل «ذكية»، ومسيّرات «ISR»[١]، واستهداف في الزمن الحقيقي- فلم تُزِح العقائد القديمة بقدر ما أكدت على دوام فاعليتها. فالدقة، كما اتضح، لا تُقصي الكتلة. بل تضمن فقط أن ما يُصاب، يُصاب إصابةً دقيقة. غير أنّ ذلك، بحد ذاته، لا يُقصي العدو إن كان لا يزال في موقعه، ولا يزال يُطلق النار، ولا يزال هناك بعد انقشاع الدخان[٢].

إنّ ما نشهده ليس بزوغ نوع جديد من الحرب، بل عودة عنيدة لِما ظُنَّ أنه دُفن في بطون التاريخ: أقل شبهًا بوادي السيليكون، وأقرب إلى «فردان – Verdun» بمسيّرات[٣]. وبالرغم مما بشّرت به كتيبات التقنية اللامعة، فإنّ الحرب

[١] «ISR» في هذا السياق اختصار: «الاستخبارات، والمراقبة، والاستطلاع» (Intelligence, Surveillance, Reconnaissance). وهي ثلاثية تُشكّل حجر الزاوية في عمليات جمع المعلومات وتحليلها وتتبع التحركات الميدانية في ساحات القتال الحديثة، بقصد تمكين القيادة من اتخاذ قرارات دقيقة وفي الوقت المناسب.

[2] Yaroslav Trofimov, 'High-Tech American Weapons Work Against Russia—Until They Don't', *Wall Street Journal*, 10 July 2024.

[٣] معركة فردان (١٩١٦م) في الحرب العالمية الأولى تُعَدّ من أطول وأشرس المعارك في التاريخ الحديث. كانت رمزًا لحرب الاستنزاف، حيث قُتل مئات الآلاف من الجنود دون حسم. اتسمت المعركة بوحشية بالغة، وثبات الجبهات، وخنادق لا تنتهي، وقصف متواصل، وسعي حثيث من كل طرف لاستنزاف الآخر حتى الانهيار. فهذا تشبيه تاريخي يُراد به الإشارة إلى طبيعة الحرب المعاصرة التي تزداد اقترابًا من حروب الاستنزاف المعهودة الدموية، لا من الحروب التقنية النظيفة التي بشّر بها كهّان وادي السيليكون، فالحروب الحديثة لم تُصبح أكثر ذكاء أو نظافة أو سرعة بفضل التقنية، بل

لا تزال اختبارًا للقوة والجلَد. وفي نهاية المطاف، فإنّ الغلبة تؤول إلى مَن يستطيع تحمل الضربات، لا إلى مَن يواجهها برشاقة خوارزمية.

هياج الإيقاع: تسارع بلا نصر

قيل لنا إنّ السرعة تقتل، وإنّ النصر حليف المسرعين[١]. الحرب الحديثة، بحسب هذا التصور، لا بد أن تُخاض على عجل؛ تنفّذ بسرعة، وتُختَتَم بسرعة أكبر، ويُفضّل أن يتمّ كل ذلك قبل أن يملّ الناخبون أو تتدهور نتائج استطلاعات الرأي. لكن، مرةً أخرى، اصطدمت النظرية بالواقع، والواقع، كعادته، يأبى أن يذعن لخطط الحملات أو لمواعيد الجداول الانتخابية.

من العراق إلى أفغانستان ثم أوكرانيا، خلّف هوس الغرب بالحروب السريعة تاريخًا بائسًا من المآزق المفتوحة التي لا نهاية لها، لا لأنّ السرعة في ذاتها معيبة، بل لأنها خُلطت بالاستراتيجية[٢]. ففي الممارسة، كثيرًا ما استُعيض بالعمليات السريعة عن التخطيط المتماسك، فبقيَ صانعو القرار في حَيرة في ما يلي الاندفاعة الأولى.

عادت إلى طبيعتها الأصلية: صراع دموي يتطلب الصبر، والثبات، والقوة. الفارق الوحيد هو أنّ أدوات القتال الآن تشمل المسيّرات والكاميرات عالية الدقة، لكنها لا تغيّر جوهر الحرب. [مويلك].

(1) Tommy Franks, *American Soldier* (New York: Regan Books, 2004), p. 400.

(2) Lawrence D. Freedman, 'The Age of Forever Wars: Why Military Strategy No Longer Delivers Victory', *Foreign Affairs Magazine*, May/June 2025.

والنتيجة: حركةٌ تتنكر في هيئة تقدُّم.

والسرعة الرقمية، بما فيها من لوحات تحكُّم، وبث مباشر لمسيّرات، وتطبيقات للإدراك الموقعي، ثبت أنها بديل هزيل عن فضائل أكثر قِدَمًا: الصبر الاستراتيجي، والجلَد الصناعي، والعزم السياسي.

لقد أتقن الغرب فن بدء الحروب بسرعة. لكنه لا يزال، وبوضوح، أقل براعة بكثير في فن إنهائها.

الهيمنة السردية وحقائق ساحة القتال

قلّ أن راج في الآونة الأخيرة مصطلح كما راج مصطلح «حرب المعلومات»[١]؛ وهي الفكرة القائلة بأنّ الظفر في النزاع لا يتوقف على ما تُسفر عنه المعارك في الميدان فحسب، بل يقوم كذلك على الهيمنة على فضاء المعلومات: بصون تدفّقات البيانات الذاتية، وتعطيل تدفّقات العدو، والتحكم بالسردية[٢].

---

(1) See for example, Robert E. Leonhard, *The Principles of War for the Information Age* (New York: Ballantine, 2000); Andrew Jones and Gerald L. Kovacich, Global *Information Warfare: The New Digitial Battlefield* (London: Routledge, 2016); Christopher Whyte, A. Trevor Thrall and Brian M. Mazenec (eds.), *Information Warfare, in the Age of Cyber Conflict* (London: Routledge, 2021); Richard Stengel, *Information Wars: How We Lost the Global Battle Against Disinformation and What We Can about It* (London: Grove, 2019); Philip Seib, *Information at War: Journalism, Disinformation, and Modern Warfare* (Cambridge: Polity, 2021).

(2) See NATO, 'Media-Dininformation-Security' (2020).

من منصات مراكز الدراسات إلى الصحائف البيضاء في شؤون الدفاع(١)، باتت مصطلحات من قبيل «الاتصالات الاستراتيجية» و«عمليات التأثير» و«صناعة السرديات» يُشاد بها على أنها أدوات التفوق الجديدة(٢)، كأنها تُغني عن الدبابات والقذائف والقدرة على تحمل الخسائر وإلحاقها بالعدو. فالنصر، كما يُقال اليوم، «ليس لمن يكسب الحرب، بل لمن يكسب الحكاية»(٣).

لقد ظفرت أوكرانيا، بحسب معظم المقاييس الغربية، في «حرب المعلومات» ظفرًا لا مدافع فيه: لقطات سينمائية ، وأهكومات ذكية ساخرة، ومواقف

---

(١) صحائف الدفاع البيضاء (Defence White Papers): يراد به وثائق رسمية تصدرها الحكومات، وتحديدًا وزارات الدفاع، تعرض فيها: الرؤية الاستراتيجية للدفاع الوطني (كيف ترى الدولة بيئتها الأمنية، وما التهديدات المحتملة)، وأولويات السياسة الدفاعية (ما المجالات التي ستركّز عليها؛ البحرية، السايبر، الطيران...إلخ)، وخطط تطوير القوات المسلحة (التحديثات المطلوبة في المعدات، والعتاد، والتسليح، والتنظيم)، والميزانية العسكرية (كم ستنفق الدولة على الجيش في الأعوام القادمة)، والعلاقات الدولية والتحالفات (كيف تنظر الدولة إلى تعاونها العسكري مع الآخرين).

والغرض منها: توجيه القوات المسلحة بوضع خارطة طريق للمستقبل، وطمأنة الحلفاء بأنّ الدولة لديها خطة واضحة. وردع الخصوم بعرض القدرات والنيات، وتوضيح المنهج للداخل والخارج بقدر من الشفافية. [مويلك].

(2) See James P. Farwell, *Persuasion and Power: The Art of Strategic Communication* (Washington, DC: Georgetown University Press, 2012).

(3) Joseph P. Nye, 'The Information Revolution and Soft Power', *Current History*, Vol. 113, No. 759 (2014), p. 7.

زِلينسكي المعلّبة في ثوب التحدي ذي الطابع التسويقي، جميعها قد قُدِّمت في حُلّة متقنة للاستهلاك العالمي[١].

وكانت الضربة الجريئة التي وجهتها أوكرانيا إلى أسطول القاذفات الاستراتيجية الروسي في أوائل حزيران ٢٠٢٥م، مستخدمة حاويات شاحن مدنية معدّلة، لإطلاق مسيّرات من قلب الأراضي الروسية، آخر لمسة درامية من دبلوماسية المسيّرات التي تنتهجها البلاد[٢].

وقد ألهبت العملية حماسة الكتّاب الغربيين، فكالوا لها المديح بأنها جريئة بارعة، وقادرة على قلب المعادلات. أحدهم وصفها بأنها «عملية سرية فريدة أحرقت قاذفات استراتيجية روسية وأربكت المحللين»[٣]، وآخر عدّها «فتحًا ثوريًّا في مستقبل الحروب»[٤].

غُيِّب عن كل هذا أنّ تلك القاذفات كانت متمركزةً في العراء بموجب شروط معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية (SALT)، التي ترمي إلى صون الشفافية

---

(1) Michael Butler, 'Ukraine's Information War is Winning Hearts and Minds in the West', *The Conversation*, 12 May 2022.

(2) Tessa Fleming, 'What We Know about Ukraine's 'Spider's Web' Drone Attack on Russia's Air Bases', *ABC News* (Australia), 2 June 2025.

(3) Olga Tokariuk, 'Ukraine's 'Trojan Horse' Strike Scorches Putin', *Center for European Policy Analysis*, 3 June 2025.

(4) Owen Matthews, 'Ukraine is Gaining the Upper Hand: Putin Will Be Terrified', *Daily Telegraph*, 2 June 2025.

وقابلية التحقق المتبادل بشأن القوى النووية بين الولايات المتحدة وروسيا[١].

وأن يُحتفى بهذه الضربة واعتبارها نصرًا إعلاميًّا إنما يُعبّر، بأبلغ ما يكون، على إمكان تقويض المحرّمات الراسخة في حقبة الأسلحة النووية، وزعزعة الاتفاقات طويلة الأمد لضبط التسلّح، وفتح الباب أمام ردود فعل قد تطال أراضي حلف «الناتو»[٢]. فثمة إيمان ساذج بأنّ روسيا –وسائر الخصوم المستقبليين– سيلتزمون بقواعد لم يعد يوقّرها أولئك الذين يحتفون بانتهاكها.

بيد أنّ النقطة المفصلية في هذا كله أنّ شيئًا من هذا لا يغيّر ميزان القوى على الأرض. فروسيا لا تزال تبسط يدها على أراض أوكرانية، وتتفوق على كييف تفوقًا بيّنًا في الإنتاج العسكري، وتفرض، تبعًا لذلك، إيقاع الحرب.

والتناقض لا يخفى على أحد: فبينما أتقنت كييف فن المقاومة الاستعراضية ودرامية المسيّرات[٣]، لجأت موسكو إلى الجرافات والقصف المكثف[٤]. وإنّ

---

[1] Sumit Ahlawat, '"Sitting Ducks" For Ukraine! How 2010 U.S.-Russia Treaty Helped Kyiv's UAVs Destroy Russian Nuclear Bombers?' *Eurasian Times*, 3 June 2025.

[2] Veronika Melkozerova, 'Ukraine Releases New Footage of Daring AI Strikes that Crippled Putin's Bomber Fleet', *Politico*, 4 June 2025.

[3] Mike Collett-White, Prasanta Kumar Dutta and Mariano Zafra, 'How Ukraine Pulled Off an Audacious Attack Deep Inside Russia', *Reuters*, 5 June 2025.

[4] Jemal R. Brinson, Juanje Gómez and James Marson, 'Blasting a Path: An Illustrated Guide to Russia's Battle Tactics', *Wall Street Journal*, 13 April 2025.

عدم اندفاع روسيا مزمجرة بأسلوب «الصدمة والرعب» لا يعني أنّ مفهومها للعمليات القتالية مَعيب.

الواقع بكلمات يسيرة هو الآتي: إنّ كسب المعركة السردية لا يوازي الانتصار في الحرب. قد يكون لذلك أثر في الحفاظ على التأييد الشعبي، لكنّ الهيمنة السردية وحدها ليست درعًا يقي الجُندَ عندما تتطاير شظايا القذائف.

اعتلال الاستراتيجية الغربية: حين تغدو السياسة الخارجية مشهدًا تمثيليًّا

منذ انقضاء الحرب الباردة، نادرًا ما انطلقت التدخلات العسكرية الغربية بدافع تهديدٍ وجودي، بل كانت غالبًا أفعالًا تعبيرية، واستجابات عاطفية لِما يقع من مجازر أو إرهاب أو مآسٍ تبثها الشاشات. فالدافع الموجِّه لم يكن الضرورة الاستراتيجية، بل النزعة الاستعراضية: لا بد من فعل شيء، ولا بد أن يُرى هذا الفعل[1]. فغدت السياسة الخارجية ضربًا من المسرح: حركة تكفي للإيحاء بالتمسك بمبدأ كوني، لكنها لا ترقى إلى حدّ الوفاء بذلك الالتزام على المدى البعيد، ولا إلى المجازفة بما يعرّض مركز القرار في الغرب إلى خطر حقيقي.

---

(1) David J. Betz, 'In Search of a Point: The Blob at War', *Military Strategy Magazine*, Special Edition, 'The Continuing Relevance of Clausewitz', December 2020, pp. 22-27.

والعواقب باتت مألوفة على نحو يورث الأسى: العراق، وأفغانستان، وليبيا، وسورية[١]؛ كلها شُنّت تحت رايات أخلاقية وخطابيات سامية، ثم انتهت إلى الإعياء، والتخبط استراتيجي، أو إلى طي العِبر دون الاعتبار بها[٢].

لكنّ أوكرانيا شأن آخر؛ فالمغارم أعظم، والخصم أشد بأسًا؛ فلروسيا قدرة صناعية ومتانة مجتمعية تفوق بأشواط هشاشةَ كثير من أنظمة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا[٣]. ومع ذلك، فإنّ استجابة الغرب، ويا لَلدهشة، ما تزال على حالها: جزلةٌ أخلاقيًّا، ومرتجلةٌ لوجستيًّا، وعاجزةٌ عن الاستدامة صناعيًّا. ويبدو أنّ حلف «الناتو» قد عزم على خوض حرب برية من طراز القرن العشرين، ولكن بأدوات القرن الحادي والعشرين، وبمخزونات التسعينات، وبأذهان لا تكاد تثبت على غاية استراتيجية بعيدة المدى، ولا تتعدى بيانات القمم وتصريحات المؤتمرات الصحفية الدورية.

---

(١) يمكن أن نُضيف تجربة الولايات المتحدة في حرب فيتنام إلى هذه القائمة، انظر:

See M. Chris Mason, *The Strategic Lessons Unlearned from Vietnam, Iraq, and Afghanistan*, (Carlisle, PA: United States Army War College Press, 2015), pp. 175-210.

(2) M.L.R. Smith, 'The Roots of Bad Strategy', *Military Strategy Magazine*, Vol. 9, No 1 (2023), pp. 10-18.

(3) See Matthew Luxmoore, 'How Putin Keeps Russia's Battle-Hardened Veterans on His Side', *Wall Street Journal*, 9 May 2025; Thibault Spirlet, 'Putin's Business Buddies Don't Western Companies Back in Russia', *Business Insider*; Ekaterina Paustyan, 'Elite Cohesion and Resilience of the Russian Regions: The Case of Belgorod Oblast', *Post-Soviet Affairs*, Vol. 40, No. 4 (2024), pp. 296-312.

والحق أنّ كثيرًا من هذه التدخلات يبدو ويكأنه صُمم للمسارح المنمّقة لاحترام الذات الليبرالية لا لميدان القتال، مهيأة لحصد التصفيق في أعمدة الرأي، والجلسات الحوارية، والمنتديات السياسية، حيث تغلب المزايدات الأخلاقية دائمًا حسابات الواقع وقيوده المادية. فهذه تدخلات لتُرضي أصحاب «الرأي السديد» لا لتُحرز نصرًا استراتيجيًّا حقيقيًّا. في هذا السياق، النصر خيار، أما استعراض الفضيلة فواجب.

الخاتمة: الماضي يعاود تسجيل الدخول

لا ريب في أنّ المسيّرات والهواتف الذكية والمجسّات الرقمية قد غيرت نسيج الحرب[1]، لكن لا على النحو الذي كان يُبشّر بتفوق الغرب، أو يفضي إلى نصر نظيف قابل للنقر والتحميل. لقد قيل لنا إنّ عصر المعلومات سيُلغي الحدود، ويستبدل الألياف الضوئية بالنيران، والتشكيلات المدرعة بالسرديات. وإذا بنا نُفاجأ بالخنادق والتعبئة الجماعية، وتكتل أوراسي ناشئ، مسلح لا بالقدرات الصناعية فحسب، بل بإرادة حضارية، وهو تكتلٌ يزداد جسارة في تحدي الهيمنة الغربية الآفلة. لم تكن هذه المدينة الفاضلة ثلاثية الأبعاد التي بشّر بها كهّان العروض التقديمية (PowerPoint prophets).

---

(1) Matthew Ford, 'From Innovation to Participation: Connectivity and the Conduct of Contemporary Warfare', *International Affairs*, Vol. 100, No. 4 (2024), pp. 1531-1549.

إنّ النماذج العسكرية الغربية لا تتعثر لانعدام الفضيلة، بل لأنها تنهض على افتراضاتٍ إن كانت صالحة يومًا، فقد بَطُلَ مفعولها الآن. فالمستقبل، لسوء الحظ، لم يأتِ في موعده. والماضي، بوقاحةٍ أشد، يأبى أن يُدفَن.

فما الذي أظهرته الحرب؟ ثمانية دروس حاسمة في الواقعية الاستراتيجية:

١- **القدرة الصناعية لا تزال تحسم الحروب:** فالتغريدات لا تُنتِج القذائف، والإعجابات لا تُبقي خطوط الإمداد قائمة.

٢- **الكثرة لا تزال ذات شأن:** فالدقة لا تُغني ما لم تُقترن بالكثرة التي تُحدث الفرق، وإلا لا تعدو أرقى الضربات أن تكون إيماءة.

٣- **القوة الناعمة ليست أبدية:** فالسردية الحضارية الغربية لم تَعُد تسحر العقول كما كانت، والثقافة المرتابة في مُثُلها تعجز عن تصديرها.

٤- **الحرب السِبرانية تزيد الالتباس، لا ترفعه:** فهي تغشو الرأي والبصيرة في القتال أكثر مما تجلوها، ولا تُغني عن بأس الحديد شيئًا.

٥- **الصدمة والرعب ليست حلًّا سحريًّا:** قد تُجدي أمام الخصم الضعيف، لكنها تتهاوى أمام الدفاعات المُعدّة والإرادة العنيدة.

٦- **المناورة لها حدود:** تعِد بالأناقة، وتنتهي في الغالب إلى الاستنزاف. ما يبدأ فنًّا عملياتيًّا قد يُختتم بحقلٍ مُحطَّم، أو تقدّمٍ متعثرٍ، أو احتلالٍ مرتجَلٍ لأرضٍ معادية.

٧- **السيادة الرقمية لا تعني السيطرة الميدانية:** فلا يمكن الاستيلاء على الأرض بالوسوم، ولا المسيّرات تسيطر على الأرض. قد تشكّل المعلومات الإدراك، لكنها لا تغرس الرايات.

٨- **الشجاعة السياسية تبقى حاسمة:** فالنصر لا يؤول للأفصح لسانًا، ولا للأسرع حركة، بل للذين لا يَحنون رؤوسهم للعاصفة ويثبتون حتى يذهبَ ريحها.

في المحصلة، فإنّ النجاح الاستراتيجي لا يحسمه مَن يردّ أسرع، أو مَن يتصدّر المواضيع الأكثر تداولًا، بل تحسمه تلك الحقائق البديهية، غير البراقة، التي تسند الحرب المعاصرة: الإنتاج، والصبر، والغاية.

ولو كان كلاوزفيتز حيًّا بيننا اليوم، لكان على الأرجح يحدّث شروط الاستخدام، بينما يشاهد الغرب يفقد الإشارة في عالمٍ ظنّ يومًا أنه قد فرغه من الأخطاء.